الملتقى الوطني: اتجاهات المدرسة الصوفية بالجزائر من البناءات المعرفية إلى الامتدادات العالمية

15 ذو القعدة 1447هـ الموافق لـ: 03 ماي 2026

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة–

د/ ليندة صياد

جامعة باجي مختار–عنابة–

مخبر التربية، الانحراف والجريمة في المجتمع

عنوان المداخلة: الدور التعليمي والديني للطرق الصوفية في الجزائر

مقدمـــة:

التصوف ليس ظاهرة وليدة الحاضر، بل تمتد جذورها إلى قرون بعيدة الأمد، بين الأديان والفلسفات والحضارات. وتحتل التربية الروحية عند المتصوفة المقام الأول، وتتمثل في تطهير القلب وتزكية النفس؛ وبمعنى أدق، التخلية قبل التحلية، وتخلية الباطن من الرذائل وتحليته بالفضائل. ولقد كانت للطرق الصوفية والزوايا في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة مكانة بالغة، تجلت آثارها على المستويين: الثقافي والجهادي، إلا أن هناك من أنكر عليهم هذا الدور واتهمهم بنشر البدع والخرافات، واعتبارهم مصدرا للتخلف والفقر. وهذا ما يدعونا إلى طرح التساؤل الآتي: ماهي الأدوار التي مارستها الطرق الصوفية والزوايا على المستوى التعليمي والديني؟

1.تعريف التصوف:

سميت الصوفية صوفية، لصفاء أسرارها ونقاء آثارها. وقيل سموا صوفية، للبسهم الصوف، وهم قوم قد تركوا الدنيا وزهدوا فيها. (الكلاباذي، 2012، صفحة 55). ويُعرّف ابن خلدون التصوف فيقول: "هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زُخرف الدنيا وزينتها، والزّهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخَلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف... وقيل إنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه". (ابن خلدون، 2007، صفحة 505)

لكن ماهي مصادر التصوف؟

2.مصادر التصوف:

لقد أجمعت معظم مصادر التصوف على أن ظهوره كان مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين جاؤا من بعدهم عُرفوا بالتابعين ثم بتابعي التابعين. "وقد بدأ التصوف عند هؤلاء في شكل حركة زهدية هي نتاج اعتكافهم على تلاوة القرآن والتدبر فيه، باعتباره يضم عددا كبيرا من الآيات الداعية إلى الزهد والتصوف، والاتعاظ بسيرة النبي صلى الله عليه وسلّم وأقواله في الزهد. من الآيات الداعية إلى الزهد والتصوف قوله تعالى: "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب". (سورة الشورى: الآية 20). ومن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلّم الداعية إلى الزهد قوله: "من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، فأنطق بها لسانه، وعرّفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام". (بونابي، 2004، صفحة 36، 37)

بعد ذلك اهتم المسلمون بالكسب المادي، وغفلوا عن أعمال القلوب، الأمر الذي أدّى بالمقتدين بالسلف الصالح إلى تأليف الكتب في الورع ومحاسبة النفس، وهذا ما نجده في كتاب "إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي. ومن هنا تطور التصوف إلى علم في (ق 2هـ-7هـ/ ق 8م – 13م)، وأصبح فلسفة حياة وسلوكا وعملا وعبادة، وطريقة معينة في السلوكات، ومن خلالها يسعى المتصوف إلى تحقيق كماله الأخلاقي وسعادته الروحية. (بونابي، 2004، صفحة 38)

والتصوف نوعان: تصوف سني وتصوف فلسفي، لكنهما يشتركان في العيش في نوع من الروحانيات التي يتصور من خلالها ممارسوها أنهم يرتقون إلى أن يصلوا إلى مستوى المكاشفة. ونجد داخل هذه الفئة روافد منبعها التصوف وآليتها الزهد والتعبد بطريقة تختلف عن غيرها، وهي ما اصطلح عليها بالطرق الصوفية التي انطلقت من ذات الفكرة واختلفت في آلية تجسيدها، الأمر الذي شكل لنا طرقا متباينة وتختلف باختلاف المشايخ. (بوكميش، 2013، صفحة 45)

3.التصوف والعرفان: في اللغات الأجنبية يسمى العرفان الغنوص gnose والكلمة يونانية الأصل ginosis ومعناها المعرفة. وقد استعملت أيضا بمعنى العلم والحكمة. غير أن ما يميّز العرفان هو أنه المعرفة الخاصة بالأمور الدينية على وجه التحديد. وتدل كلمة عرفان عند المتصوفة الإسلاميين على نوع أسمى من المعرفة، يُلقى في القلب على صورة (كشف) أو (إلهام). ومع أن هذا المصطلح لم ينتشر استعماله في الأدبيات الصوفية إلا في مرحلة متأخرة، فقد يفرّق بين الاصطلاحين (الصوفي، العارف) بوصفهما غير مترادفين؛ على اعتبار أن الأول أعمّ من الثاني، حيث لا يطلق (العارف) إلا على من بلغ درجة عالية في سلّم الطريق، كما أن للمتصوفة أيضا إلمام بالعلوم الدينية والعقائدية. (الوائلي، 2015، صفحة 13)

واتخذ التصوف شكل هيئات اجتماعية عملية منظمة، انتشرت على الصعيد الديني الشعبي، تُعرف بالطرق الصوفية.

4.الطرق الصوفية في الجزائر:

يرجع تاريخ ظهور الطرق الصوفية في الجزائر إلى بداية القرن السادس عشر الميلادي، وازداد أتباعها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر. والتصوف في صورته الأولى الزهدية، قد يكون موجودا منذ الفتوحات الإسلامية، أما بالمفهوم الدقيق للتصوف والذي اصطلح عليه فيما بعد، فقد ظهر أولا بالمشرق ثم انتقل مع المعابر الأربعة التي انتقلت بواسطتها الأفكار إلى بلاد المغرب العربي، وهي: الحج، طلب العلم، الكتب والمؤلفات، التجارة. (الحسني، 2007، صفحة 24)

أما عن مفهوم الطرق الصوفية "فكلمة طريقة تشير إلى نمط أو أسلوب في الممارسة يحتوي على مجموعة من الطقوسات والعبارات الخاصة والمميزة في نوعها وكمها وهي أيضا السيرة الخاصة بالسالكين إلى الله والترقي في المقامات...فالطريقة هي بمثابة القانون المنظم للزاوية، حيث تضم الأفعال والأقوال التي على المنتمي الالتزام بها، حيث مضمون كل طريقة يميزها عن غيرها من الطرق الأخرى، وتحتل تعاليم الطريقة مكانة ونوع من القداسة والانضباط والصرامة في الالتزام بها". (بوكميش، 2013، صفحة 45، 46)

ولقد اختلفت الطرق الصوفية بسبب اختلاف مشايخها في فهم النصوص الدينية وبخاصة القرآن والاختلاف في تنظيم المراسيم التعبدية، وكذلك التباين في طرق ترويض النفس. وهذا ما أدّى إلى تعدد واختلاف الطرق الصوفية.

التصوف في الجزائر، أو ما يُعرف قديما "المغرب الأوسط"، انتشر على نطاق واسع بحيث وجد في مناطق عديدة من الوطن، ففي كل بقعة منه زاوية، أو مقام ولي صالح، وحلقة ذكر أو شيخ طريقة يدعو إلى التمسك بالشريعة والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلّم.

لقد بدأ التصوف في المغرب الإسلامي تصوفا نظريا، ثم تحول ابتداء من القرن التاسع الهجري إلى تصوف عملي، وأصبح يطلق عليه "تصوف الزوايا والطرق الصوفية"، وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب العربي حتى بعد دخول الأتراك العثمانيين. **التصوف النظري**: هو الذي يخوض فيه العلماء والطبقة المثقفة، يركز على الجانب النظري من الفكر الصوفي، ويتطلب مستوى معينا من الثقافة والعلم، وأن يكون صاحبه على اطلاع واسع بأحكام الشريعة الإسلامية. **التصوف العملي**: هو الذي يركز فيه المريد على بعض الممارسات الفردية أو الجماعية مثل حلقات الذكر، الرقص، الإنشاد. (الحسني، 2007، صفحة 25)

من أهم أعلام التصوف في الجزائر نذكر:

- ابن النحوي يوسف بن محمد التوزري (ت513هـ)

- الحسن بن علي المسيلي (ت بعد 580هـ)

- أبو مدين الغوث (ت596هـ)

- الحرالي علي بن أحمد (ت638هـ)

- الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ). (الحسني، 2007، صفحة 28)

وتأسيسا على ما سبق ذكره، فإن التصوف كان مجرد تجربة روحانية فردية في بداياته الأولى، ولا يجمع بين الأفراد أي رابط أو تنظيم، لكن فيما بعد أصبح لكل شيخ طريقته في التعبد، فكَثُرَ الأتباع والمريدون وتوافدوا على هذا الشيخ أو ذاك، فتعددت الطرق الصوفية بتعدد المذاهب، وأصبحت لهم أماكن للقاء، فتحولت إلى مساكن تعرف بالزاوية. وهذا الوضع دفعهم إلى إيجاد نظام لتسييرها وتقسيم الأعمال وتحديد الوظائف والأدوار.

ولا يختلف اثنان في اعتبار الزوايا الصوفية مؤسسات روحية ذات بعد ثقافي واجتماعي، نظرا لجهودها المبذولة لمحاربة الخرافات والشعوذة من أجل ضمان الأمن والاستقرار، ولقد عرفت المدارس القرآنية في الجزائر إبان الاستعمار بالزوايا العلمية. فماذا نعني بالزاوية؟

5.مفهوم الزاوية:

لغة: الزاوية مشتقة من الفعل انزوى، بمعنى اتخذ ركنا من أركان البيت، جمعها زوايا، ومنها تزوّى وزوّى وانزوى؛ أي صار فيها. (الفيروزآبادي، 2008، صفحة 732)

يرجع أصل لفظ الزاوية إلى "الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية... أصبح يعني مراكز تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي الأخلاق والفضائل الإسلامية، وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان". (لعربي ، 2013، صفحة 509)

اصطلاحا: مدرسة دينية، تجمع الناس على مختلف أنواعهم من طلبة علم وفقراء ضيوف مريدين، من أجل تحقيق أهداف دينية وروحية وتعليمية واجتماعية قلما تلتقي في مرفق واحد. (بن زيطة، 2013، صفحة 563)

وقيل هي عبارة عن مسجد ومدرسة أو معهد للتعليم القرآني والديني، ومأوى لطلبة داخليين يعيشون في تلك الزاوية بلا مقابل، أما بناؤها فيختلف عادة عن بناء المسجد والمدرسة. وفي دائرة المعارف الإسلامية تمّ تعريفها بما يلي: "يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني: غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف، تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، غرفة مخصصة لضيوف

الزاوية والحجاج والمسافرين، وغرف للطلبة، ويُلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها". (بوقرومة ، 2013، صفحة 738، 739)

الزاوية والرباط:

يوجد جوانب شبه بين الزوايا والرباطات، ومن أهمها خدمة الدين والمجتمع، إلا أن الرباط يكون قريبا من مواقع الأعداء، وأن تأسيسه يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام (ملازمة ثغر العدو) مع أداء مهمة العلم أيضا. "فالرباط هو بناء يجمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين استعدادا للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين، فهو بناء يجمع بين الصفتين الدينية والحربية". (بوقرومة ، 2013، صفحة 740، 741) وعلى هذا الأساس، يتبيّن لنا أن للطرق الصوفية آثارا إيجابية تمثلت في الرباط والتربية الروحية وتزكية النفس، ومن جهة أخرى لا ننكر وجود انحرافات في العهود الأخيرة تمثلت في انتشار الشعوذة والأباطيل والأفكار المضللة والناشزة البعيدة عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

6.النظرة السلبية للتصوف

لقد كشفت الدراسة الميدانية لموضوع التصوف في المجتمع الجزائري، أن الغالبية من عينة مجتمع الدراسة التي أجريت معها المقابلة، لا تملك معلومات عن التصوف وكذلك الأدوار والوظائف التي تقوم بها الزوايا وشيوخها من أجل محاربة الفساد الاجتماعي والمحافظة على هوية المجتمع الجزائري. وتمثلت المواقف السلبية في ما يلي:

أولا: عدم إدراك حقيقة ومبادئ التصوف لدى العامة من الناس والخلط بين التصوف والزهد، واعتبار كلاهما من مظاهر الرهبانية التي لا يقبلها ديننا الحنيف، ويعتبرون التصوف انسحابا من الحياة والمبالغة في الزهد. (العماري، 2022، صفحة 184)

ثانيا: اعتقاد عامة الناس أن الطرق الصوفية والزوايا تعمل على نشر البدع والشعوذة والخرافات، وبالتالي يجب محاربتها والقضاء عليها، مادامت طقوسها غريبة عن الدين الإسلامي.

ثالثا: التصوف في تصورهم مرادف للفقر والجهل والتخلف والتواكل، وكل هذه الصفات تشكل عوائق أمام تقدم المجتمع وتطوره في جميع مجالات الحياة.

رابعا: النظرة السلبية للطرق الصوفية لم تقتصر على عامة الناس، بل كان لبعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين مواقف وآراء سلبية بشأن الطرق الصوفية والزوايا، حيث ذهبت إلى أن الاستعمار الطرقي أخطر من الاستعمار الفرنسي؛ وذلك لأنهم يدخلون في الدين ما ليس منه، ويستغلون جهل عامة الناس لينفثوا في أذهانهم سموم وخرافات

وأوهام، ما أنزل الله بها من سلطان، بدعوى أن تلك الخرافات من الدين، ومن لا يتبعهم يبوء بغضب من الله ورسوله ويكون من الكافرين. (أبولحية، 2016، صفحة 127)

يمثل محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي، الموقف المتشدد والمتميّز بالشدة والصرامة. أما الشيخ أبو يعلى الزواوي كان موقفه أكثر اعتدالا، وسبب الاعتدال أنه ولد في بيئة صوفية، ولهذا كان يدعو إلى إصلاح الزوايا وطرائقها.

لكن رغم التحديات والسلبيات التي ميّزت الطرق الصوفية، إلا أنها تُعدّ جزءا من الهوية الجزائرية، وتاريخا طويلا من المقاومة والجهاد ضد الاستعمار في الجزائر، وهي صفحات مشرقة لبطولات شيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا، بالإضافة إلى خدمة الإسلام ونشره وإرساء قواعده.

7.النظرة الإيجابية للزوايا والطرق الصوفية:

لقد كان للطرق الصوفية والزوايا مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية بالجزائر، فإذا كان هذا دور الزوايا ومكانتها في المجتمع الجزائري قبيل الاحتلال وحتى في بدايته الأولى، فلا غرابة أن تكون مستهدفة من السياسة الاستعمارية. وهذا ما حدث بالفعل، حيث تمّ اختراق صفوف الطرق الصوفية عندما أحسّ المستعمر بالخطر لجأ إلى أسلوب الإغراء بالمناصب والألقاب والنياشين والامتيازات؛ إذ أدرك حينها أن نشاطها لم يكن متوقفا على العبادة والتعليم والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، بل اهتمت بالأعمال السياسية والاجتماعية كذلك، حيث قاد شيوخ الطرق الصوفية نذكر منها القادرية والرحمانية والتيجانية والسنوسية والدرقاوية، كل الثورات التي نشبت ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وقبل ذلك ضد الإسبان والبرتغال.

ولم يقتصر دور الطرق الصوفية على الجانب السياسي فحسب، بل كانت لها وظائف حيوية ومهمّة مثل التربية والتعليم، فضلا عن دورها الثقافي والاجتماعي والروحي.

8. الوظيفة التعليمية للطرق الصوفية:

يعتبر التعليم ميدانا ضروريا وحتميا في كل المجتمعات، وعنصرا رئيسيا في تنظيم وترقية الأفراد سلوكيا وحضاريا، حيث كان في القرنين السادس والسابع الهجريين/12 و13 الميلاديين، أحد الميادين التي تجلى فيها النشاط الإيجابي للصوفية، ويعود اهتمامهم بالتعليم إلى جملة من العوامل:

أولا: "تهافت الأولياء في توجيه أبنائهم لتعلم الفقه –علم الظاهر– قصد بلوغ المناصب العليا عند الحكام كالقضاء والحسبة ومختلف الخطط الإدارية، وبالتالي اتجه التعليم في المغرب الأوسط وجهة وظيفية جردت التعليم من رسالته في نشر العلم وإرساء الأخلاق الفاضلة". (بونابي، 2004، صفحة 228)

ثانيا: اقتصر التعليم على الفئات الاجتماعية التي بإمكانها الإنفاق على أبنائها؛ لأن أجرة المعلم في سائر أنحاء المغرب وحتى القرن السادس الهجري/ 12الميلادي، كان يدفعها ولي التلميذ لأن الدولة لم تتكفل آنذاك، سوى بإشراف القاضي على تعليم اليتامى، وبعض الإعانات التي كانت تقدمها الأوقاف أو السلطان.

ثالثا: تدخل الدول التي تعاقبت على حكم الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/12 و13 الميلاديين، في توجيه التعليم بكافة أطواره وفقا لما يخدم توجهاتها السياسية والمذهبية والعقدية، فقد ألزم الحماديون والمرابطون مجتمع المغرب الأوسط على تعلم فقه الفروع على مذهب مالك، ومنعوا تدريس الأصول والفلسفة وعلم الكلام. كما فرض الموحدون أيضا نموذجا من التعليم ركزوا فيه على إلزام المتعلمين بقراءة كتاب التوحيد للإمام المهدي بن تومرت، وشجعوا تدريس تفسير القرآن وتأويله، والمنطق والفلسفة، وأولوا عناية خاصة لتدريس الحديث وتقريب طلبته إلى جهاز الدولة. (بونابي، 2004، صفحة 29)

لقد اتفقت أغلب الدراسات التوثيقية على اعتبار القرن التاسع الهجري (ق9هـ) كبداية قوية لظهور معظم الزوايا. واتسمت هذه الفترة بالاضطراب السياسي والخلل الاجتماعي، بسبب صراعات داخلية أدت إلى الاستنجاد بالعدو الخارجي، وإلى استقبال للمسلمين الفارين من الأندلس، وما تبع ذلك من حملات صليبية متكررة، استطاعت الاستيلاء على مناطق مهمة من الساحل الجزائري. (فلولا تدخل عرّوج وخير الدين بربروس لعرفت الجزائر نهاية مثل نهاية الأندلس). (بناجي، 2013، صفحة 165، 166)

1.8 التعليم في العهد العثماني:

أهمل العثمانيون شؤون التعليم على اعتبار أنه من اختصاص المجتمع. فلم تُعرف في عهدهم وزارة للتعليم ولا للثقافة، حيث كان اهتمامهم منصبا على الأمن، ولهذا بالغوا في اقتطاعات الضرائب، واكتفوا في علاقاتهم الدينية مع السكان في تقريب بعض المتصوفة من أصحاب الطرق. وحافظت الزوايا على بقائها في العهد العثماني، بسبب الاتفاق المبرم بين السكان والدايات الحاكمة على دفع ضريبة سنوية مقابل الاستقلال الداخلي. (بناجي، 2013، صفحة 189، 190)

8. 2 التعليم في عهد الاستعمار الفرنسي:

لقد قام الاستعمار الفرنسي بالتضييق على الزوايا ثم غلقها أو هدمها. وسياسة التجهيل هي الخطة الاستراتيجية المرجحة في مشروع استعمارهم للبلاد. وتخريبهم للمؤسسات الدينية والعلمية كان بسبب إدراكهم أن الشعب الجزائري متمسك بدينه وعقيدته والزاوية هي المسؤولة على بثّ روح الجهاد في مختلف المناطق، لهذا عمل الاحتلال الفرنسي على محاربة الزوايا بكل الوسائل، لكن باءت كل محاولاته بالفشل. (بناجي، 2013، صفحة 190)

يحفظ التاريخ الدور المشرف الذي لعبته الزوايا والطرق الصوفية في مقاومة الاستعمار برغم التشكيك والتجريح الذي نالها من قبل الكثيرين، فيذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة أن شيوخ الطرق الصوفية أمروا جميع المواطنين الجزائريين أيام الغزو الفرنسي للجزائر بالتعبئة العامة، والوقوف صفا واحدا للإحاطة بالعاصمة ومقاومة المستعمر، بعد تخلي الأتراك عن تلك المهمة وانسحابهم. (العقبي، 2002، صفحة 72، 73)

ومن التقارير الاستخباراتية الفرنسية التي تشير إلى خطر الزوايا، وتوجس الاستعمار خيفة منها، تقرير الملازم "بوسري" بعد ثورة 1846 حيث يقول "تعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها في سياستنا، ولقد كانت القبائل الأشد عداء لنا هي تلك التي ينتشر فيها التعليم". (الوغزيري، 2013، صفحة 255)

ظلت الزوايا طيلة العهد العثماني (ومعظم العهد الفرنسي) تمارس واجب التعليم بإمكانيات محدودة جدا، ولم تدخل المدرسة الفرنسية إلى قرى القبائل إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وكان دخولها ضعيفا جدا ومقتصرا على فئة معينة. أما أغلبية الناس فقد رفضوها. ولقد أدى غياب الدولة لحقب طويلة من الزمن إلى عدم وجود نظام تربوي وتعليمي يستجيب لحاجيات المجتمع، وهذا ما دفعه إلى الاعتماد على نفسه واللجوء إلى تراثه وتوظيفه وتطويره لتلبية حاجياته، وكانت الزوايا نقطة الانطلاق. فهي مكان للعبادة والوعظ والإرشاد، والفصل بين الناس، وكذا تعليم الأطفال القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن. (بناجي، 2013، صفحة 178، 179)

9. الوظيفة الدينية:

تُعدّ الوظيفة الدينية من أهم الوظائف، ويتجلى دورها في زرع الوعي لدى عامة الناس في المساجد، والربط، والزوايا. ومن أبرز مجالس الوعظ والتذكير في بجاية خلال النصف الثاني من القرن السادس للهجرة، مجلس أبي مدين شعيب، وأبي زكريا يحي الزواوي، وأبي تميم الواعظ الوهراني. وفي تلمسان كان مجلس أبي عبد الله بن الحجام، الذي وصفه يحي بن خلدون بواعظ زمانه. فضلا عن كونهم يعملون على التعريف بالدين الإسلامي في البوادي والأرياف. فقد نُقل عن ابن مخلوف قوله: أن أبا مدين تخرج على يده ألف تلميذ. ومن دون شك أنهم لما عادوا إلى بواديهم وأريافهم عملوا على نشر ما تعلموه. (بونابي، 2004، صفحة 192)

بالإضافة إلى ذلك، أدوا دورا في تسهيل مأمورية الحج، ومساعدة الفقراء الذين عجزوا عن أداء فريضتهم الدينية، حيث يذكر ابن الزيات أن أبا عبد الله محمد التاونتي التلمساني لما كان في بجاية متجها إلى مكة، تسابق رؤساء المراكب للفوز بصحبته في الرحلة، فاشترط على من يركب معه أن يحمل كل الفقراء المتوجهين إلى مكة، بدون أجر فقبلوا عرضه. (بونابي، 2004، صفحة 193)

أما الزاوية التواتية بأدرار، فتتبع منهج خاص بالعلوم النقلية وهو كالآتي:

تحفيظ وتعليم القرآن الكريم: ويكون باتباع برنامج حسب السن والقدرة، حيث يعرض المريد يوميا جزءا من القرآن الكريم على الشيخ، وهو ما يعرف باسم الوقفة أو التكرار، بالإضافة إلى حضور ورد يومي من القرآن الكريم في المسجد بإشراف الشيخ وهيئة التدريس، وهي وظيفة عالية الأجر وأفضل ما يتعلمه المرء ويعلمه. وهذا العمل يشكل جزءا هاما من الوظيفة الأساسية في قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا القرآن وإنا له لحافظون" (سورة الحجر: آية09) (الوغزيري، 2013، صفحة 256)

تدريس الحديث والسنة النبوية: ويكون بتدريس وتحفيظ الأحاديث النبوية، تكون في البداية بحفظ الأربعين النووية، ثم ينتقل الطلبة بعد ذلك إلى الموطأ وشرح صحيح الإمام صحيح الإمام البخاري، وذلك خلال فترة زمنية طويلة نوعا ما قد تتعدى الحولين، تختم في العادة بحفل تقام فيه الولائم يُعرف عند أهل توات بختمة البخاري. (الوغزيري، 2013، صفحة 257)

الفقـــــه: ويتم تدريسه من خلال حفظ مختلف متون الفقه المالكي، يقوم الشيخ بشرحها لتلامذته ومريديه بنظام الوقفة. ويأخذ كل تلميذ متنا معينا حسب مستواه بالتدرج من المبسط إلى المعمق، ويتم استظهارها وحفظها أسبوعيا خاصة أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس. ومن هذه المتون (متن بن عاشر، الأخضري، العبقري، أسهل المسالك...إلخ

التوحيد والعقيدة: وذلك باتباع طريقة الفقه؛ أي يتم حفظ متون التوحيد واستظهارها على الشيخ، مثال ذلك (متن الجوهرة والسنوسية).

قواعد اللغة العربية: يتعلم التلاميذ والطلبة مختلف علوم اللغة من النحو إلى الصرف والإعراب، فاللغة العربية من العلوم المساعدة على فهم الدين. ومن أهم المتون المعتمدة في ذلك (متن الأجرومية، ألفية بن مالك، ملحة الإعراب...إلخ). (الوغزيري، 2013، صفحة 257)

– لكن على الرغم من أدوارها الإيجابية للحفاظ على ثوابت الأمة، يرى بعض الباحثين أن الطرق الصوفية تميل إلى التقليد وتبتعد عن الاجتهاد العقلي، حيث اكتفت بمحتوى تعليمي واحد لسنوات عديدة، دون محاولة تعديله بما يتماشى مع مستجدات العصر.

– ومن الانتقادات التي وجهها البشير الابراهيمي إلى منهج التعليم في الزوايا، هو الاعتماد على المقررات والمناهج القديمة، مع التركيز على الكم وليس الكيف؛ وعليه فإن قيمة الطالب ترتفع بعدد المتون المحفوظة في التخصص الواحد، لا بالفهم الصحيح والأداء السليم للكفاءات التعليمية.

خاتمـــــــة:

لقد شكلت الطرق الصوفية جزءا مهما من تاريخ الجزائر الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي. كما كان لها الفضل الكبير في اندلا ع الثورات الشعبية المنظمة وغير المنظمة (ثورة المقراني والشيخ الحداد في شرق البلاد ووسطها، وثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي الجزائري) خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وأصبح التصوف حينئذ يشكل العمق الوجداني والنفسي للمجتمع الجزائري. فقد أدى نشاط الصوفية في الزوايا إلى تطور حركة التعليم بمختلف أنواعه، ونظرا لكون القرآن الكريم هو عصب التعليم في الزوايا، لأهميته في التشريع، وفي تربية النفس وتهذيبها وتقويمها، وكبح جماح شهوتها، كان أول ما يتعلمه المريد هو حفظ القرآن وتفسيره. كما وفرت التعليم للفئات التي كانت تعيش في البوادي والقرى. وعليه فالطرق الصوفية والزوايا لم تكن مجرد مجالس ذكر، بل قامت بدور تربوي وتعليمي مهم.

إن الدور الذي تؤديه الطرق الصوفية، لم يتوقف مداه محليا، بل تعداه إلى دول الساحل الإفريقي، حيث قصدها علماء الجزائر لنشر تعاليم الدين الإسلامي، وتعليم القرآن والعقيدة والتوحيد، بالإضافة إلى التفسير والفقه. أما دورنا اتجاه هذه الزوايا هو أن نمدّ لها يد المساعدة من أجل تطوير برامجها وفق ما يشهده العا لم من ثورات علمية وتكنولوجية متسارعة. وأيضا لا بد من إحياء الجانب الروحي والقيمي في الأبناء، بعد سيطرة الفكر المادي. ومن هذا المنطلق، يجب تكثيف الجهود ونعمل مع مؤسسات الزوايا لمواجهة خطر ضياع الشباب بسبب ابتعاده عن المبادئ والقيم الإسلامية.

Bibliographie

ابن خلدون ,ع .ا .(2007) .*مقدمة ابن خلدون* .بيروت :مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

أبولحية ,ن .(2016) .*جمعية العلماء والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما* .تونس :دار الأنوار للنشر والتوزيع.

الإبراهيمي ,م .ا .(1997) .*آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي* .بيروت :دار الغرب الإسلامي.

الحسني ,ع .ا .(2007) .*أعلام التصوف في الجزائر* .الجزائر :دار الخليل القاسمي.

العقبي ,ص .م .(2002) .*الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشأتها* .بيروت :دار البراق.

العماري ,ا .(20 12 ,2022) .التصوف في الجزائر المعاصرة من الإنزواء إلى المشاركة الإيجابية .*مجلة أنثروبولوجيا* 182- .pp , 203.

الفيروزآبادي ,م .ا .(2008) .*القاموس المحيط* .القاهرة :دار الحديث.

الكلاباذي ,أ .ب .(2012) .*التعرف لمذهب أهل التصوف* .بيروت :مركز بحوث كلية الصفا بماليزيا.

الوائلي ,ع .ع .(2015) .*التصوف أبحاث ودراسات* .بيروت :منشورات ضفاف.

الوغزيري ,أ .ج .(31 12 ,2013) .دور الزوايا التواتية في حماية المقومات الوطنية إبان الفترة الاستعمارية .(1962-1830) *حوليات التاريخ والجغرافيا* .250 -263 .pp ,

بن زيطة ,ح .(2013) .تطوير مناهج الزوايا وعصرنة وسائلها حتمية تفرضها تحديات المستقبل .*الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهنات المستقبل* .(p. 563)إيليزي :دار الكتاب العربي.

بناجي ,ح .(2013) .الزوايا ودورها في الحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي .*الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل* p. 164)، .(192إيليزي، الجزائر :دار الكتاب العربي.

بوقرومة ,ح .ب .(2013) .دور الزوايا والطرق الصوفية في تفعيل ثقافة المجتمع الجزائري .*الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل* p. 738)، .(739إيليزي :دار الكتاب العربي.

بوكميش ,ل .أ .(2013) .زوايا الطرق الصوفية ودورها في إرساء معالم التربية الروحية .*الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل* .(p. 45)إيليزي :دار الكتاب العربي.

بونابي ,ا .(2004) .*التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و 7الهجريين 12 /و 13الميلاديين* .عين مليلة، الجزائر :دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

لعريبي ,أ .ع .(2013) .الزوايا والتصوف ودورها في معركتي التحرر والتعمير .*الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل* .(p. 507)إيليزي :دار الكتاب العربي.